التحوّلات الاقتصادية والاجتماعية والتشغيلية

ان الاجراءات الديمغرافية الواسعة التي اقترنت بتغييرات اقتصادية عميقة، ولدت، بالضرورة، على امتداد سنوات الاحتلال، تحولات اجتماعية سريعة، أفضت الى تغيرات في الملكية والعلاقات الانتاجية، ومن ثم تبدلات في قوة العمل التشغيلية، سواء في مواقع القطاع الزراعي، أو في حقول الصناعة والتجارة، أو في ميادين العمل المأجور.

وعبر مجموعة من الاجراءات والتدابير الادارية والاقتصادية والعسكرية، التي استهدفت الوصول الى وضع يمكّن من تحقيق منظومة من الاهداف المرسومة، تمكنت القيادة الاسرائيلية، فعلاً، من احداث تغييرات في بنية الاقتصاد الوطني الفلسطيني في الضفة (والقطاع)، وفي علاقة القطاعات بعضها ببعض، وفي حجم ونسب مساهمة كل منهما في الدخل القومي للضفة (وغزة)، وبالنتيجة صوغ نموذج اقتصاد رأسمالي كولونيالي مشوّه تابع، أريد له أن يرتبط، ارتباطاً وثيقاً، بعجلة الاقتصاد الاسرائيلي، ويستجيب لتلبية الاحتياجات الاساسية لنمو الاقتصاد الاخير.

هذه السياسات الجذرية ذات الاهداف المباشرة المتعددة، كان يراد لها، لاحقاً، أن تحقق الهدف الاسرائيلي الابعد: استكمال الضم الزاحف مترابط الحلقات للاقتصاد والارض، وتطويع الوقائع السياسية، بما يجعلها ملائمة ومستجيبة لخطط الضم الكامل والتهويد.

وعبر بنود متوازية ومتكاملة، واصلت القيادة الاسرائيلية، ولا تزال تواصل، المعركة الديمغرافية، أو الحرب الديمغرافية تحديداً.

وفي موازاة ذلك، وفي خدمة تلك الاهداف، تمت عملية التدمير المنظم لأسس استقلال الاقتصاد الوطني الفلسطيني في القطاعات كافة، الزراعية والصناعية والتجارية بشكل خاص. وبالنتيجة، تم تنفيذ الخطط عبر ثلاثة محاور أساسية، ولتحقيق ثلاثة أهداف مترابطة:

المحور الاول: تدمير القطاع الزراعي وتهجير طاقته البشرية والتحكم في ما تبقى منه، وفي الوقت ذاته محاصرة وحبس تطور القطاع الصناعي، وجعل هذين القطاعين وما يرتبط بهما من عمليات انتاجية، محاصرة، ضعيفة متراجعة، وبالتالي سهلة الانجرار للتبعية.

المحور الثاني: امتصاص جزء هام من الطاقة البشرية في قطاعي الزراعة والصناعة ودفعه نحو سوق العمل المأجور في اسرائيل.

المحور الثالث: العمل على تصدير موجات هجرة متتالية، ومن ميادين وحقول متعددة، الى خارج الارض المنتجة أولاً (أي خارج قطاعات العمل والانتاج الاساسية)، وخارج الوطن ثانياً. بمعنى الاقتلاع من الارض الزراعية، والعمل في قطاع الصناعة الفلسطينية، ثم الدفع نحو الهزيمة والهجرة، أو نحو قطاعات العمل المأجور داخل اسرائيل، وذلك لتحقيق هدف توفير عرض دائم من اليد العاملة الفلسطينية الرخيصة، والمستعدة للعمل في مجالات العمل السوداء، حيث يرفض الاسرائيليون العمل فيها، ودون توفر الحد الادنى من الحقوق النقابية والانسانية، من جهة، وبهدف اخلاء الاراضي الفلسطينية من السكان وتحقيق عملية الاجلاء المنظم، من جهة أخرى.

ان العمل باتجاه المحاور الثلاثة عملية مترابطة عضوياً، وتتم عبر مختلف الاشكال. وهي في الوقت الذي تعنى بتدمير الأسس التي يقوم عليها كل قطاع اقتصادي، وخاصة الانتاجي،